اللغة العامية توأمة اللغة الفصيحة

١ هل كان للعرب الفصحاء الاقدمين لغة عامية وما تحديدها

اتفق جميع علماء العرب من اقدمين ومحدثين على ان اللغة العامية او اللغة الفاسدة نشأت بعد الاسلام بقليل عند مخالطة العرب للعجم. وهذا الرأي هو رأي جميع اللغويين بدون شذوذ. ولا حاجة الى ذكر الشواهد على ذلك فان كلام الكتّاب واضح كل الوضوح. وحسبنا في هذا الباب ان ننقل هنا ما قاله ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٠٠ من طبعة بيروت الاولى): [ان اللغة الفصيحة كانت] «ملكة في السنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما القى اليها السمع من المخالفات التي للمتغربين والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقي اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع». انتهى المطلوب من ايرادهِ. فانت ترى ان كلام اشهر ائمة ناقدي العرب جلي المعنى لا يحتمل شكاً ولا يحتاج الى تأويل او ايضاح اذ هو اوضح من الشمس في رائعة النهار

لكن ما يراد باللغة العامية او الفاسدة وعلى اي شيء يقوم فسادها وما تعريف اللغة العامية ؟

اللغة العامية (وقد يدخل فيها اللُّغيَّة) واللغة الركيكة والضعيفة والقبيحة والمولدة والساقطة والمهجورة والمبتذلة والمائعة والرديئة والمستهجنة والسوقية والمنكرة والفاسدة الى آخر ما هناك من الالفاظ التي ترادفها هي لغة تخالف اللغة الفصيحة باعرابها او تعبيرها او الفاظها او وضعها او تنسيقها تصحيف او تحريف او تقديم او تأخير وقع فيها او خلوّها من الشيوع المقبول عند اصحاب اللغة الفصيحة. او بعبارة اخصر: هي اللغة التي ابتعدت عن اللغة الفصيحة إعراباً او لفظاً او معنى او صوتاً. — فتخالف العامية اللغة الفصيحة «باعرابها» كما لو اراد العامي مثلاً ان يقول: جاء زيدٌ بالرفع فيقول: جاء زيداً بالنصب او انهُ لا يعرب فيبني الفاظهُ كلها على السكون. — «وبلفظها» اذا حرّك الكلمة بحركة غير الحركة التي سمعت عن العرب كما لو قال عَمَر مثلاً (وزان سبب) وهو يريد عُمَر (كزُفَر). — «وبمعناها» اذا عقد بناصية الكلمة معنى لم يسمع عن العرب الفصحاء كما لو قال استلم الشيء وهو يريد تسلمهُ او اخذهُ. — «وبصوغها» اذا سبك العبارة سبكاً مخالفاً للاصول التي

قررها العرب او سمعت عنهم كما لو قال : زيدٌ كتابُ وهو يريد كتاب زيد بتقديم المضاف على المضاف اليه

فاذا علمت هذا نقول : ان اللغة العامية هي توأمة اللغة الفصيحة وانهما وجدتا او ولدتا في وقت واحد وعاشتا تحت سماء واحدة ونشأتا معاً . الاَّ ان العامية لم تكن فاشية هذا الفشو ولا فاسدة هذا الفساد الذي نعهدهُ فيها في هذا الاوان . فانهُ قد عمَّ جميع الديار العربية واستحكل في جميع القبائل البدوية ولا عجب من ذلك لان من شأن الشر او الفساد سرعة الانتشار والاستشراء . وبطءُ الرجوع الى الحالة الاولى التي كان عليها . وهو كما دبَّ دبيبهُ زاد فعلهُ وتأثيرهُ واستحكمت عروقهُ في النفوس حتى لا يبقي ولا يذر . واثباتاً لرأينا هذا نأتيك بادلتنا فنقول :

٢ً الادلة على وجود العامية في عهد الجاهليَّة

ان الكتَّاب الذين نقوا عن عرب الجاهلية فساد لغة عوامهم لم يقولوا لنا قولهم هذا الاَّ بعد الاسلام بقرنين او ثلاثة اي انهم لم يكونوا من الجاهلية وادلتهم مأخوذة من الاستقراء والاستدلال لا من باب النقل والرواية . وعليهِ لا يمكننا ان نقبل ادلتهم الاَّ اذا كانت بنجوةٍ من تطرق او توصل الوهم اليها . والحال ماذا نراهم يقولون في هذا الصدد :

يقولون : ان لغة العرب لم تفسد الاَّ لمَّا خالط العربُ العجمَ . والحال : ان العرب لم يخالطوا العجم بعد الاسلام وانما خالطوهم قبل ذلك بقرون عديدة لاسباب منها : الغزوات والفتوحات والتجارة وقلة الرزق في تلك الديار لكثرة ما فيها من الفلوات ومجاورتها بلاد الاعاجم

فان اليمن قريبة من بلاد الحبشة ولهذا ترى تاريخ هذين القطرين متشابهاً كل المشابهة بل قُلْ ان تاريخهما تاريخ واحد . وما حروف مجاء الحبش الاَّ حروف المُسْنَد او حروف اهل حمير بتغيير طفيف . وابنية بلاد الحبشة القديمة الموجودة الى يومنا هذا في يكسوم لا تندُّ شيئاً عن مثل هذه الابنية الموجودة في جوار صنعاء ومأرب من بلاد اليمن . وكل ذلك من عهد الجاهلية القصوى والدنيا

والعرب الذين كانوا يقطنون في الشمال الشرقي من ديار مصر كانوا يترددون الى هذه الربوع الاخيرة حتى ان امراءهم قووا على ملوك المصريين وانتزعوا الملك من ايديهم وذلك في عهد ابرهيم الخليل الى عهد يوسف الحسن ويعرف هؤلاء الامراء باسم «الملوك الرعاة او الهكسوس» كما افادتنا بذلك الرقم والكتابات المصرية المصورة اي [الهيروغليفية]

والعرب الذين كانوا في شمالي جزيرة العرب كانوا يخالطون اهل الشام وفلسطين وسائر

اهل تلك الديار حتى قامت منهم دولة عرفت بدولة الانباط او النبط وهم الذين مدّنوا المدن ومصروا الامصار ولا تزال تلك الآثار تحير الافكار وفي حصون وقلاع وصروح وقصور تشهد على ما كان قد بلغ اليه اولئك العرب من العزّ السامق والمجد الباذخ

والعرب الذين كانت ديارهم على خليج فارس او مجاورة لديار فارس من جهة العراق كانوا يتغلغلون الى بلاد الاعاجم كما ان الاعاجم كانوا يهبطون بلادهم حتى ان قبيلة من قبائلهم فتحت بلاد بابل وقبضت على صولجان ملكها وكانت الآمرة الناهية فيها

وكان في عهد الجاهلية عُلُوج في عمان يُمْرَقُون باسم المزون وعلوج في اليمن يعرفون بالسامران (راجع الهمداني وياقوت والمقدسي) وكان في اليمن ايضاً الابناء وهم قوم من العجم سكنوا اليمن في عهد سيف بن ذي يزن (راجع التاج مادة ب ن و) وتوالدوا هناك وتناسلوا وامتزجوا بالعرب امتزاج الراح بالماء القراح

وقد قال لنورمان في كتابه الكبير تاريخ الشرق ٦ : ٣٣٨ ما هذا نقله بالعربية : « ان سكان ديار العرب بقوا دائماً في حالة البداوة وما يتبعها حالة يظنونها اعلى منزلة من حالة الحضارة . ولقد قاموا دائماً في فلواتهم قيام السعاة والنقلة بين الامم المتمدنة : امم مصر وسقي الفرات وفارس والهند فهؤلاء السماسرة سماسرة التجارة لا تاريخ لهم وهم يتحرّون اليوم ما كان يتحراه اجدادهم في سالف العصور منذ اربعة آلاف سنة ولم يغيروا شيئاً من حياتهم الدائرة »

فاين بقي كلام من يقول : ان العرب لم يخالطوا الاعاجم الاّ بعد الاسلام . فلو قالوا ان اختلاطهم بالاجانب كثر وازداد بعد الاسلام لهان الامر وسهل الخطب لكن كلامهم على خلاف ما تتوهمهُ من الحصر او التقييد بل هو من باب التعميم والاطلاق

وقال الذاهبون الى فساد اللغة العربية بعد الاسلام : ان اول ما فسد من اللسان العربي المُضَري ملكتهُ اي تغيُّر اعرابه او بعبارة اخرى : تغير حركات آخر كلم العبارة (راجع ابن خلدون في مقدمته ٣٣١) . وجاء في حديث ابي الاسود الدؤلي : انهُ وضع النحو حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقية اي اللغة التي يسترسل فيها المتكلم بها على سليقته من غير عهد اعراب ولا تجنب لحن (راجع التاج مادة س ل ق)

والحال كيف يقال هذا والعرب كلهم لم يكونوا على لغة قريش بل وجد بينهم اناس عديدون لا يعرفون من الاعراب اسمهُ فضلاً عن وجوده وحقيقته . او لم تطلع على ما قالهُ ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٠٩) وهذا نصُّ كلامه : « لغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة

مضر . » اه . فهل لثبتَ هذه العبارة وتدبَّرت كل كلة من كلها فانها تبين لك حقيقة ما نقولهُ وتدعمهُ احسن دعم . ومثل حمير : اهل مهرة فانهم عتم يشاكلون العجم (الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٣٤) وكذلك اهل حتل قتاب الى ذمار فان لغتهم القحة المتعقدة (عنهُ ايضاً) وقد عدَّ الهمداني كثيراً ممن كان يتكلم الحميرية او لغة كالحميرية فراجعها في كتابهِ . هذا فضلاً عن ان الافرنج قد توصلوا الى قراءة المسند او الخطّ الحميري ورأوا ان ما قالهُ ابن خلدون لا يخالف الحقيقة قيد ذرَّة . ومن اراد التحقيق فليرجع الى كتبهم

ومن ليس لهُ شيء من هذه الكتب نذكر لهُ مثالاً يقيس عليهِ . من ذلك نصب كتب على رخامة مصقولة وهذا نصها بالحرف العربي :

نصب كسم بن دفع ... وحولم ولي قمعن عشتر شرقن ذيسانهو

وهذا معناهُ بالعربية :

« نصب كسم بن دفع ... عبد عشتر الشرقي (اسم الوكان لم) ان يقمع كل من يشينهُ »

فهذه كلمات من اللغة الحميرية فهل ترى فيها آثار علامات الاعراب او ليس فيها بعض الفاظ تختلف عن العربية كما ان بينها الفاظاً تشابهها لكن هل يقال ان هذه اللغة هي لغة قريش بعينها ؟ فليتصف العقلاء

وهذا ما حدا بالعلامة كلوبروكلمن الى ان يقول :[1] منذ تبلج صباح رقي اللغة العربية كان مما لا ندحة عنهُ ان لتقدم لغات القبائل شيئاً فشيئاً في مضمار الحياة اليومية بينما كانت الخاصة تسعى لان تحسن التكلم باللغة الفصحى . ومما ساعد في زيادة الفاظ اللهجات العربية العامية لغات الامم التي خضعت لدولة العرب ولاسيما اللغة الفارسية ولهذا اخطأ نحاة العرب في قولهم ان مخالطة العرب للاعاجم هي وحدها السبب الذي افسد لغتهم الفصحى . » اه كلام المستشرق الجليل

وقد عثر العلماء المحدثون على رُقَم عديدة في ارض مسافة امتدادها من دمشق الشام الى العلا في الحجاز الشمالية . وقد قسموها الى ثلاث طوائف كبرى بموجب لغاتها الاصلية وكتاباتها وهي . الصفوية واللحيانية والثمودية . واقدم نصّ عربي وجدوهُ باللغة الترشية هو الذي وقعوا عليهِ في النمارة بقرب الشام فانهُ يرقى الى سنة ٣٢٨ بعد المسيح اي نحو ٣٠٠ سنة قبل ظهور الاسلام وفيهِ بعض لغيات من تلك اللغات التي يشير اليها النحاة في كتبهم والى انها من عصر اللغة الفصحى

واعلم ان العرب كلهم اجمعين لم يكونوا على لغة قريش والذين كانوا عليها هم جميع الذين

(1) C. Brockelmann :— Precis de linguistique Semitique :— Trad. fr. Paris. Librairie Paul Geuthner. p. 42.

تمالأوا على وضعها وهم عرب قلب الحجاز واهل نجد وسكان الديار المجاورة لها الى طفّ الفرات . اما عرب الشام المخاضمون للدولة الرومانية فانهم لم يكونوا الاّ سماعة اقرغوا كنانة وسعهم لايصال اشعار العرب الى تلك الربوع . وجميع شعراء البلاد التي اشرنا اليها وان كانوا يرجعون الى قبائل شتى فانهم جميعهم اتخذوا لغة واحدة لنظم اشعارهم هي اللغة التي سموها «لغة قريش او اللغة الفصحى» لان هذه القبيلة كانت من اجلّ القبائل لاختيار ما حسن الالفاظ ونبذ ما قبح من لغات سائر القبائل . وهذا ما شهد به اللغويون الاقدمون وصرّحوا به أبيّن التصريح

قال ثعلب في اماليه : «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجّع قيس[1] وعجرفية ضبة .» وقال ابو نصر الفارابي في اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف : «كانت قريش اجود العرب انتقاداً للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعاً وابينها ابانةً عمّا في النفس . والذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم واسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم نقل اكثر ما اخذ ومعظمهُ وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فانهُ لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم . فانهُ لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسّان وإياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب والنمر[2] فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من عبد القيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم .

(١) وفي المزهر الذي نقل عنهُ هذه العبارة : تضجع قريش وهو غلط بيّن لان التضجع كان خاصاً بقيس . اما قريش فلم تكن فيها الاّ الفصاحة والفصح الفصاحة كما يؤخذ من سياق الكلام

(٢) وفي الاصل المطبوع الذي نقل عنهُ وهو كتاب المزهر للسيوطي (١ : ٥٠) (واليمن) وهو خطأ بيّن . والاصح ما اوردناهُ . لان النمر كانوا مجاورين لتغلب في الجزيرة . وفي كتاب المزهر اغلاط طبع كثيرة تشوّه محاسن هذا الكتاب . وقد نقل صاحب اقرب الموارد هذا النص بغلطهِ فلم ينتبه اليهِ . مع انهُ ظاهر لكل ذي عينين

والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء واثبتها في كتاب فصيَّرها علماً وصناعةً هم اهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب » انتهى

فصدر هذا الكلام يدل دلالة صريحة على ان قريشاً هي التي وضعت اسس اللغة الفصحى لحسن نظرها في الالفاظ واطلاعها على ما سهل منها وسلس وأدّى ما في النفس احسن تأدية . هذا فضلاً عن ان هذا النص يوضح لك ان اللغة العامية قديمة بقدم لغات القبائل وقبل ان تكون لغة قريش لغة جميع الشعراء

٣ التنوين والاعراب عريقان في القدم

ان الاعراب والتنوين قديمان في بلاد العرب ولا يمكن ان يعرف اليوم الى اي عصر يرتقيان لاننا نرى مثليهما في بلاد حمورابي او بلاد بابل وما جاورها . وقد عثر الباحثون على آثار عادية مكتوبة بالحروف المسمارية وعليها نصوص تفيسة باللغات السامية القديمة وفيها الاعراب والتنوين صريحان . لا بل وقعوا على آثار ترقى الى سرجون الاول ونرام سين من الملوك الاقدمين وفيها الاعراب والتميم (اي ميم زائدة في اواخر الالفاظ بدلاً من النون . والتميم اقدم عهداً من التنوين حتى في ديار العرب) . وقد حدا الامر بعلماء اللغات القديمة الى ان يقولوا بان هذين التكييفين (الاعراب والتميم) كانا معروفين قبل المسيح بالفين وثمانمائة سنة . وربما كانا معروفين منذ عهد تُرْنِيدَاي منذ ٣٧٥٠ سنة قبل الميلاد

٤ عمَّن أخذ التنوين والاعراب

وهنا لا بدَّ ان يسأل القارئ : هل اخذ العرب علامات الاعراب عن البابليين ام اقتبسها البابليون من العرب ؟ — ان الجواب عن هذا السؤال لا يصح الاَّ بعد الاطلاع على كلام بعض الاقدمين

جاء في اللسان : قال محمد بن سيرين : سمعت عبيدة قال : سمعت علياً (رضه) يقول : « من كان سائلاً عن نسبتنا فانَّا نبط من كوثى » . وروى ابن الاعرابي انهُ سأل رجل عليّاً : اخبرني يا امير المؤمنين عن اصلكم معاشر قريش ؟ فقال : « نحن قوم من كوثى » . واختلف الناس في قوله : نحن من كوثى : فقالت طائفة : اراد كوثى العراق وهي سُرَّة السواد التي ولد بها ابرهيم (ع) وقال آخرون : اراد بقوله : « كوثى » : « مكة » . — وذلك لان محلة عبد الدار يقال لها كوثى . فاراد علي : انَّا مكيُّون اميون من ام القرى . وانشد لحسان :

لعن الله منزلاً بطن كوثى ورماهُ بالفقر والإمعارِ
ليس كوثى العراق اعني ولكن كوثة الدار دار عبد الدارِ

قال ابو المنصور : والقول : هو الاول لقوله (صلعم) : فانا نبط من كوثى . ولو اراد كوثى مكة لما قال نبط . وكوثى العراق هي سُرَّة السواد من محل النبط . وانما اراد عليٌّ ان ابانا ابرهيم كان من نبط كوثى . ونحو ذلك قال ابن عباس : نحن معاشر قريش حيٌّ من النبط من اهل كوثى . والنبط من اهل العراق . » انتهى المقصود منهُ

وانت تعلم : ان مراد العرب بنبط العراق البابليون الاقدمون . وعلى هذا يكون القرشيون بابليي الاصل فلما دخلوا بلاد العرب ادخلوا اليها لغتهم معهم . ولاسيما علامات الاعراب والتنوين . فهذا الكلام مما يحتفظ به لنسبتهِ الى الامام عليّ والى نبيّ المسلمين نفسهِ وهو من اقدم ما يعرف من هذا القبيل ومن اصحهِ نسبةً الى صاحبيهما ولاسيما لانهُ يوافق مكتشفات هذا العصر الأنور . وعليهِ فيكون العرب قد اخذوا التنوين وعلامات الاعراب عن البابليين

لكن هناك معضلة عظيمة وهي ان علماء هذا اليوم يقولون ان الدولة البابلية التي تنتمي الى حمورابي (وكان السادس من ملوكها) هي عربية النجار . وكذلك الدولة الكلدانية التي تنتمي الى الشيخ كلدة . فاذا كان الامر كذلك فالبابليون اخذوا تلك العلامات من العرب الاولين المنتمين الى حمورابي او الى كلدة . وقد يحتمل ايضاً ان هذين الشيخين لما دخلا البلاد التي افتتحاها وجدا اهلها يتكلمون بلغةٍ فصيحة فتكلماها ايضاً بها لقرب اللغات السامية بعضها من بعض في ذلك العهد العهيد

وعلى كلٍّ فالجزم في هذه المسألة من الامور الصعبة في هذا الوقت الحاضر ولعلها تتجلي بعد الاطلاع التام على الدفائن العادية والوقوف على اسرار لغات الاقدمين . ان ربك لقدير عظيم

متى دخل اللحن اللغة

قد مرَّ بك ان كتَّاب العرب يذهبون الى ان اول ما فسد من لغتهم هو الاعراب . ويسمون فسادهُ هذا باللحن . قال في المزهر (٢ : ١٩٩) : اعلم ان اول ما اختلَّ من كلام العرب واحوج الى التعلم : الاعراب لان اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرِّبين من عهد النبي (صلعم) . فقد روينا ان رجلاً لحن بحضرتهِ فقال : « ارشدوا اخاكم فقد ضلَّ » . وقال ابو بكر : « لان اقرأ فاسقط احبُّ اليَّ من ان اقرأ فالحن » وقد كان اللحن معروفاً . بل قد روينا من لفظ النبي (صلعم) انهُ قال : « انا من قريش ونشأت في بني سعد فأنَّى لي اللحن » . . . وكان علي بن المديني لا يغيِّر الحديث وان كان لحناً الاَّ ان يكون من لفظ النبي (صلعم) فكأنهُ يجوز اللحن على من سواهُ » اه بحرفهِ

فانت ترى من هذا الكلام ان اللحن قديم في لسان العرب . وكيف لا يكون كذلك

وقد بيّنا لك ان من العرب والاعراب من كان يجهل الإعراب جملة وذلك منذ اقدم الازمان بدون ان يمكن الوقوف على اول عهدهم . والدليل على ذلك الكتابات التي عثر عليها الباحثون من علماء المشرقيات وقد رأوا في الكتابة الواحدة كلاماً معرباً وغير معرب معاً . افلا يحق لهم ان يستنتجوا ان الاقدمين لم يجروا على طريقة واحدة في كلامهم . ودونك شواهد على ذلك زيادةً على ما تقدم فوق هذا : جاء في كتاب Les monuments sabéens لمؤلفه الفرنسوي هرتون ديرمبورغ ص ١ ما هذا حرفهُ

« عربم عبد بن هدروم هقني شمسهمو مشرقيئن مسلن ذذهبن ذشفتهو لوتي جربهو ووفي جرب بنهو رب اوم ووفي بعرهو . » ومعناهُ :

عرب (اسم رجل) عبد بني الحضرميين أوقف لالهتهم الشمس الشرقية الصنم الذهبي من اجل وقاية حقله ومن اجل الوقاية الممنوحة لقتل ابنه رب اوم ومن اجل الحماية الممنوحة لبعراته » وانت ترى ان اواخر جميع هذه الالفاظ ساكنة وليس فيها شيء من الاعراب . وهذا في لغة سبا وحمير

وقد وجد المستشرقون في الرُقُم التي وجدوها في انحاء سيناء وديار النبط مثل هذه العبارات وهي : « عبد الله » ودال عبد خالية من الرفع . اما هاء اسم الجلالة فمجرورة . وكذلك وجدوا « جرم الله وزيد الله وعبد البعل وأوس البعل وجرم البعل ومعن الله ووهب الله وتيم الله وزيد الله وحلف الله وسعد الله . وقد وجد دوسو ومكلر رقيماً عليهِ هذه الالفاظ : وهب الله بن سعد الله (واسم الجلالة مجرور وحدهُ في اللفظتين)

ولو اردنا ان نستقصي البحث في هذا الموضوع ونذكر الشواهد المؤيدة لكلامنا هذا لوجب علينا ان نرصد لهُ كتاباً قائماً برأسهِ . وبما تقدم كفاية . ولهذا لا نستصوب كلام الرافعي في كتابهِ « تاريخ آداب العرب » ١ : ٢٣٩ إذ يقول : . . . نقطع بان اللحن لم يكن في الجاهلية البتة وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الالسنة فانما هو لغات لا اكثر . اه . قلنا نحن : وكفى بذلك دليلاً على وجودهِ . والعلماء لا يقولون غير هذا القول . فاذا وجد في لغات او كان لُغات ثبت وجودهُ عندهم قبل الاسلام فكيف ينكر بعد ذلك وقوعهُ في كلامهم . فلينصف العقلاء

نعم ان هذا الكلام لا يروق كثيرين . وهذا لا يهمنا فالحقُّ يعلو ولا يعلى عليهِ . ومن لهُ براهين او ادلة مقنعة غير ما ذكرهُ الاقدمون في مصنفاتهم فليأتنا بها لنتدبر مواقعها من الصحة . ورب فوق كل علم عليم

امكح